OPEN ACCESS
Received: 10 -10 -2025
Accepted: 28- 01-2025

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

Speech Acts in *Al-Risalah al-Adhra'* by Abu al-Yusr Ibrahim al-Shaybani

Dr. Fatimah Bint Musaed Al-Zahrani*

fat33fat@gmail.com

Abstract

This study investigates speech acts in *Al-Risalah al-Adhra'* by Abu al-Yusr Ibrahim al-Shaybani through a pragmatic analytical framework. As a representative text of Abbasid epistolary literature, the letter is examined as a communicative discourse structured around the relationship between sender and recipient within a specific contextual setting. The research focuses on how linguistic expressions function as speech acts that accomplish educational and ethical purposes rather than merely stylistic or rhetorical effects. Drawing on speech act theory, the study analyzes different categories of acts present in the text, including assertive, directive, commissive, expressive, and declarative acts. Particular attention is given to the ways in which these acts contribute to the instructional character of the letter and its persuasive communicative function. The findings demonstrate that directive speech acts dominate the discourse, reflecting the pedagogical orientation of the text and its emphasis on guidance and instruction. Assertive and declarative acts appear as complementary mechanisms supporting the communicative goals of the letter. The study highlights the effectiveness of pragmatic analysis in revealing the illocutionary force and communicative intentions embedded in classical Arabic epistolary texts, thereby underscoring the value of pragmatic methodology in interpreting the rhetorical and functional dimensions of early Arabic prose.

Keywords: Epistolary Literature, Pragmatics, Speech Acts, Directive Speech Acts, Illocutionary Force, Pragmatic Context.

* Assistant Professor of Literature, Rhetoric, and Criticism, Department of Literature, Rhetoric, and Criticism, College of Arabic Language, Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University, Saudi Arabia.

Cite this article as Al-Zahrani, F. B. M. (2026). Speech Acts in *Al-Risalah al-Adhra'* by Abu al-Yusr Ibrahim al-Shaybani, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *8*(1): 236 -255. https://doi.org/10.53286/v27ky658

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2025/10/10م
تاريخ القبول: 2026/01/28م

الأفعال الكلامية في الرسالة العذراء لأبي اليسر إبراهيم الشيباني

د. فاطمة بنت مساعد الزهراني*
fat33fat@gmail.com

ملخص

يتناول هذا البحث الرسالة العذراء بوصفها نصًا نثريًا ينتمي إلى فن الترسل في العصر العباسي، من خلال مقاربة تداولية تركز على تحليل الخطاب في مستوى: الأفعال الكلامية، وإعادة قراءتها في ضوء طبيعتها بوصفها خطابًا تعليميًا موجَّهًا، يقوم على تنظيم العلاقة بين المرسِل والمخاطب ضمن مقام تواصلي خاص، ويعتمد البحث المنهج التداولي في تحليل النص، مستفيدًا من تصنيفات الأفعال الكلامية، ويسعى إلى الكشف عن كيفية اشتغال القول في الرسالة بوصفه فعلًا لغويًا يُنجِز مقاصد تعليمية وتربوية، لا مجرد بناء أسلوبي أو بلاغي، وتبرز أهمية البحث في تقديم قراءة تطبيقية للرسالة العذراء تركز على القوة الإنجازية للخطاب وتبين مقاصده، وتسهم في إبراز المنهج التداولي بوصفه أداة فاعلة في دراسة نصوص الترسل العربي القديم. وتم تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث، تطرق التمهيد إلى الرسالة العذراء ومكانتها، ومن ثم عرف بالمنهج التداولي: أسسه ومفاهيمه الإجرائية، وتطرق المبحث الأول للإخباريات، وتطرق المبحث الثاني للتوجيهات (الطلبيات، أفعال التوجيه)، وناقش المبحث الثالث الالتزاميات (الوعديات)، في حين ركز المبحث الرابع على التعبيريات (الإفصاحات)، واهتم المبحث الخامس بالإعلانيات (التصريحات، الإيقاعيات)، وقد أظهر التحليل هيمنة الأفعال الكلامية التوجيهية، تليها الأفعال التقريرية، فالأفعال الإعلانية أو التصريحية، وهو ما ينسجم مع الطابع التعليمي للرسالة ووظيفتها التربوية.

الكلمات المفتاحية: فن الترسل، التداولية، الأفعال الكلامية، الأفعال التوجيهية، القوة الإنجازية، المقام التداولي.

* أستاذ الأدب والبلاغة والنقد المساعد، قسم الأدب والبلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: الزهراني، ف. ب. م. (2026). الأفعال الكلامية في الرسالة العذراء لأبي اليسر إبراهيم الشيباني، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *8*(1): 236-255 https://doi.org/10.53286/v27ky658

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

المقدمة

يعدّ فنّ الترسل من الأجناس النثرية المؤثرة في التراث العربي، لإسهامه في تطوير الكتابة النثرية وتحويلها إلى خطابٍ مقصود يقوم على وعيٍ لغوي وتواصلي، وقد بلغ هذا الفن درجةً من النضج في العصر العباسي، حيث أصبحت الرسالة الأدبية مجالًا للتوجيه والتعليم وتقويم الذوق اللغوي، وتجلّى فيها إدراك الكُتّاب لطبيعة الخطاب وأثره في المتلقي.

وتُعدّ الرسالة العذراء من النصوص التي تكتسب أهميتها في تاريخ النثر العربي من خلال ما تقدّمه من تصورٍ للكتابة، وما تطرحه من تنظيمٍ للعلاقة الخطابية بين المرسِل والمخاطَب.

وقد أفضت التحقيقات الحديثة إلى تصحيح نسبة الرسالة، فثبت أنها موجّهة إلى عبد الله بن المدبّر من أبي عثمان سعيد بن محمد الشيباني، وهو ما يقتضي التعامل معها بوصفها خطابًا تعليميًا موجَّهًا، تتحدد بنيته في ضوء مقام تواصلي قائم على سلطة المرسِل وتوجيه المتلقي، لا على التعبير الذاتي أو الإنشاء الحر.

ويهدف هذا البحث إلى تحليل الخطاب في الرسالة العذراء وفق المنهج التداولي، من خلال تتبّع الأفعال الكلامية، ورصد القصدية والمقام، واستكشاف طبيعة العلاقة بين المرسِل والمخاطَب وأثرها في تنظيم الخطاب. ويعتمد البحث في ذلك على أدوات التحليل التداولي التي تنظر إلى القول بوصفه فعلًا لغويًا يُنجز داخل سياق تواصلي محدد، مع التركيز على دراسة المقام وتحليل الأفعال الكلامية بمختلف صيغها، ولا سيما الأوامر والنواهي، وصيغ النصح، والتقرير والتعليل.

وعلى الرغم من حضور الرسالة العذراء في عدد من الدراسات اللغوية والبلاغية والنقدية، فإن مقاربتها بوصفها بناءً تواصليًا قائمًا على الأفعال الكلامية والمقام التداولي لم تحظَ بعناية تطبيقية كافية، الأمر الذي يفتح المجال لدراسة تُعنى بتحليل الخطاب فيها من منظور تداولي، يكشف عن آليات القول ووظائفه داخل النص.

ومن أبرز هذه الدراسات:

1- **ملامح التداولية في الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر (ت279هـ)، لفتيحة باخالد، صدرت عن دار فكرة كوم للنشر والتوزيع، ورقلة/ الجزائر، في طبعتها الأولى عام 2025م**، وتهدف هذه الدراسة إلى محاولة الربط بين الدرس اللساني الحديث، والتراث البلاغي العربي، وذلك بتطبيق المنهج التداولي في محاولة لبناء نظرية تداولية عربية تتقاطع مع النظرية التداولية الغربية. تركز دراسة الدكتورة: فتيحة باخالد على (المقاربة النظرية والتأصيلية) بهدف بناء جسر بين التراث البلاغي واللسانيات الحديثة، أما بحثي، فيُعنى بتطبيق (نموذج أفعال الكلام عند سيرل وأوستين) بوصفها أداة تحليلية، فدراستي تطبيقية تخصصية في نظرية أفعال الكلام تحديدا.

2- **تقنيات الحجاج في نقد النثر العربي القديم (الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر (ت270هـ) أُنموذجا)**، للدكتورة: مروة عبد الخالق بدري، نُشرت **في مجلة القادسية** في الآداب والعلوم التربوية، المجلد الخامس والعشرين، العدد (1) الجزء (2) سنة 2025م، وهي دراسة تتقصى فيها الباحثة التقنيات الحجاجية التي بُنيت عليها الرسالة العذراء، أما بحثي الحالي، فينفصل عن المسار الحجاجي، ليركز على (تداولية الفعل) فبينما تدرس الباحثة "كيف يقنع" الشيباني قارئه، أدرس "ماذا يفعل" الشيباني بكلامه؛ أي كيف تحولت الأفعال القولية إلى إعلانيات تشريعية، ووعديات إلزامية، وتوجيهات إرشادية، فالدراسة الحجاجية تبحث في "الاستدلال"، بينما دراستي تبحث في "الإنجازية"، وما يترتب على القول من تغيير في الواقع التداولي لصنعة الكتابة.

3- **قراءة جديدة للتراث النقدي: الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبّر أنموذجًا**، للباحثة: سهيلة سلطاني، منشورة في مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، الجزائر، العدد 22،

1438هـ/2017م، ص319–348، بينما ركزت هذه الدراسة على رصد الاستراتيجيات الخطابية والوصايا الفنية التي ينبغي للكاتب مراعاتها، يتجه البحث الحالي إلى تحليل أفعال الكلام التي استثمرها الشيباني في بناء رسالته. فنحن هنا لا نرصد ماذا قال الكاتب عن أصول الصنعة، بل نكشف عما أنجزه' بكلامه عبر (التقارير، والإعلانيات، والوعديات)، وكيف استطاع من خلالها تشييد ميثاق تداولي يُعيد صياغة هوية المتلقي المهني.

وقد ورد ذكر الرسالة العذراء في عدد من الدراسات التي تناولت النثر العربي القديم ورسائل الكُتّاب في العصر العباسي، حيث أُدرجت ضمن الرسائل الأدبية في أدب الكُتّاب، غير أنّ هذه الدراسات، على اختلافها، لم تخص الأفعال الكلامية الواردة في نص الرسالة بالدراسة، وهو ما يسعى هذا البحث إلى تحقيقه.

ينتظم هذا البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث، تطرق التمهيد إلى الرسالة العذراء ومكانتها، ومن ثم عرف بالمنهج التداولي: أسسه ومفاهيمه الإجرائية، وتطرق المبحث الأول للإخباريات، وتطرق المبحث **الثاني للتوجيهات (الطلبيات، أفعال التوجيه)، وناقش المبحث الثالث الالتزاميات (الوعديات)، في حين ركز** المبحث الرابع على التعبيريات (الإفصاحات)، واهتم المبحث الخامس بالإعلانيات (التصريحات، الإيقاعيات)،

وسأعتمد في قراءة الرسالة العذراء على النسخة التي حققها: د. يوسف محمد عبد الوهاب، الواردة في العدد التاسع عشر من مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، التابعة لجامعة الأزهر، في العام الميلادي 2003.

وبذلك يقدّم البحث قراءة تداولية مركزة تُبرز الرسالة العذراء بوصفها خطابًا تعليميًا منظمًا، تتحدد ملامحه من خلال هيمنة التوجيه، وتوجّه الخطاب نحو النصح والتعليم.

تمهيد:

أ. الرسالة العذراء ومكانتها

يُعَدّ فنّ **الرسائل الأدبية** أحد أبهى فصول النثر العربي، إذ كان ميدانًا يلتقي فيه العقل بالبيان، ويتجاذب فيه الأدباء خيوط البلاغة والفكر، وقد ازدهر هذا الفن في العصر العباسي ازدهارًا بالغًا، حين تحوّلت الرسائل من مجرّد وسيلة تواصل إلى فنّ قائم بذاته يتّكئ على الصناعة اللفظية، والدقة الفكرية، والتأنق الأسلوبي.

وفي هذا الأفق تبرز **"الرسالة العذراء** "باعتبارها **نصا تعليميا موجها للكتاب**، ويبين كاتبها سبب وصفها بالعذراء في ختامها، بقوله: "وهذه الرسالة عذراء؛ لأنها بكر معان لم تفترعها بلاغة الناطقين ولا لمستها أكف المفوهين، ولا غاصت عليها فطن المتكلمين، ولا سبق إلى ألفاظها أذهان الناطقين، فاجعلها مثالا بين عينيك، ومصورة بين يديك،..." (الشيباني، 2003، ص 374).

فالكاتب يوصي المخاطب بالتمسك برسالته وما تحمله من توجيهات للوصول إلى مناهل البلاغة والظفر بها، وتجيء هذه الرسالة متوسطة بين عدد من الكتب والرسائل في الكتابة وأدب الكتاب، إذا سبقتها رسالة عبدالحميد الكاتب (ت132) والبيان والتبيين لأبي عمرو الجاحظ(ت255)، وأدب الكاتب لابن قتيبة (ت276)، وغيرها، وجاء بعدها أدب الكتاب للصولي (ت336)، والخراج وصناعة الكتابة لأبي الفرج بن قدامة (ت337) وصبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي (821)، وعدد كبير من الكتب والرسائل، وقد كانت الرسالة العذراء متأثرة بما سبقها من كتابات، ومؤثرة فيما لحقها؛ إذ تبرز ملامح منها في كتابات الكتاب السابقين واللاحقين لا يمكن تجاهلها أو الصد عنها لكثرتها ووضوحها.

وقد جاءت الرسالة العذراء على هيئة درسٍ بلاغيّ في الكتابة والبيان، كتبها صاحبها ليُعلِّم أدوات الترسل، ويُعلي من شأن الصنعة الأدبية، فهي جواب لسؤال طرحه السائل على كاتبها، ويتضح هذا في مقدمة الرسالة، في قوله:" وصل إليَّ كتابك

الذي استفهمتني فيه -بجوامع كلمك- جوامع أسباب البلاغة، واستكشفتني عن غوامض آداب أدوات الكتابة، وسألتني أن أقف بك على وزن عذوبة اللفظ وحلاوته..." (الشيباني، 2003، ص 318)؛ فالرسالة العذراء جاءت لِتُجيب عن الكيفية التي يُكتب بها الكلام كتابة رفيعة وفق قواعد البلاغة العربية، فهي - في جوهرها -رسالة في صناعة الرسالة، لها " أهمية كبيرة لأنها رائدة في صناعة الكتابة، بل لعلها تخرج من حدود الرسائل إلى صنف المؤلفات، إنها كتيب رصين بليغ في فن صناعة النثر" (السامرائي، 1990: 354/1).

وقد وصفها **محمد المختار العبيدي** بأنها: "رسالة جامعة واعية لفن كتابة الرسائل" (الشيباني، 2003، ص 7)؛ حيث تحدث فيها الشيباني عن صنعة الكتابة، وصفات الكاتب، وطبقات الكلام، وبدائع الصدور في الرسائل، وخواتيم الرسائل، وقيمة الدواة والمداد، وفضائل الخط وشرف القلم إلى غير ذلك من الموضوعات، ما يجعلها مرجعا في صناعة الكتابة (الشيباني، 2003، ص 8).

والرسالة العذراء تنظّر لفن الكتابة بلسانٍ خطابيٍّ، وتُطبّق ما تنظِّر له في أثناء القول نفسه؛ فالنص موضع الدراسة ليس رسالة أدبية فحسب، بل درس بلاغي تطبيقيّ في البلاغة العربية المبكرة.

وإذا كان الجاحظ في البيان والتبيين قد بسط القول في بلاغة اللفظ والمعنى، فإن صاحب "الرسالة العذراء" قد اقتفى أثره في حقل الكتابة الخاصة بفن الرسائل، حيث تُصاغ الكلمة لتُحدث أثرًا نفسيًا وجماليًا في المتلقّي، وقد سارت الرسالة على خطى مدرسة الجاحظ النثرية، إذ ظهر التأثر بفكر الجاحظ وأسلوبه في أجزاء من الرسالة (الشيباني، 2003، ص 349).

وهكذا تتبوّأ الرسالة العذراء مكانةً محورية في مسار النثر العربي، إذ تمثّل جسرًا بين النظرية البلاغية والممارسة الكتابية، وبين الإبداع الذاتي والوظيفة التعليمية. حتى عدَّ الدكتور صالحُ بن رمضان كاتبَها: "أول من عمل على ضبط مستويات التخاطب في أدب الرسائل" (رمضان، 2007، ص 150)؛ لأنه "فرق بين الملكة اللغوية العامة والملكة اللغوية التواصلية، وصنف المخاطبات في الرسائل باعتماد المخاطبين ومراتبهم أو طبقاتهم، وجعل لكل مخاطب مرتبة تقتضي نوعا مخصوصا من التلفظ، يدركه الكاتب بفضل ملكته التواصلية" (رمضان، 2007، ص 151).

ومن هنا، فإن دراستها لا تأتي عبثًا، بل تُمثّل وفاءً لروح النص نفسه، الذي كتب ليكون درسًا في فن الكتابة والإنشاء، وصورةً مبكرة من الوعي الخطابي في الأدب العربي.

التعريف بأبي اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني:

إبراهيم بن أحمد الشيباني من أهل بغداد سكن القيروان، يكنى أبا اليسر، ويعرف بالرياضي، سمع من الجاحظ، والمبرد، وثعلب، وابن قتيبة، ولقي من الشعراء البحتري وأبا تمام ودعبلا وابن الجهم، ومن الكتاب، سليمان بن وهب وأحمد بن أبي طاهر وغيرهم، كان عالما أديبا ومرسلا بليغا ضاربا في كل علم وأدب بسهم، طاف البلاد ودخل خراسان وفارس والعراق والحجاز واليمن والشام والثغور والجزيرة ومصر، ترأس ديوان الإنشاء لبني الأغلب ثم للفاطميين، إلى أن توفي في القيروان سنة 298هـ وهو ابن خمس وسبعين سنة، له مصنفات عدة منها: "لقط المرجان"، و" سراج الهدى"، و"قطب الأدب"، ورسالة "الوحيدة المؤنسة" (محفوظ، 1982: 405/2).

ب. المنهج التداولي: أسسه ومفاهيمه الإجرائية

يحسن بنا قبل الولوج إلى الحديث عن أفعال الكلام أن نعرف التداولية ونبين أصنافها، فالتداولية: علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ولذا يمكن أن تسمى بـ:"علم الاستعمال اللغوي" (صحراوي، 2005،

ص 16، 17)، فالتداولية تدرس علاقة العلامات بمستعملها ومؤولها، وبظروف استعمالها وبآثار الاستعمال على البنى اللغوية (أوزو، وسشايفر، 2013، ص 196).

وعليه، فإنّ تحليل الرسالة العذراء تحليلًا تداوليًا يعني تتبّع الرسالة في لحظتها الحيّة: لحظة الإرسال، والدعاء الذي يُفتَتح به الكلام، والنبرة التي تؤطّر القول، فالتداولية تفتّش عن القصد، والتوجيه، واستراتيجيات التأثير، وهي تهتم عند معالجتها للقضايا اللغوية، بالمتكلم والمخاطب، والسياق (الحال، المقام)، والاستعمالات العادية للكلام (مزيد، 2010، ص 19، 20).

وللتداولية كما صنفها هانسن درجات ثلاث:

أ- تداولية الدرجة الأولى: الإشاريات، وتهتم بدراسة الرموز الإشارية (أنا، الآن، هنا) التي تتجلى في الملفوظات، وتظهر أهميتها عندما يغيب المشار إليه في الكلام.

ب- تداولية الدرجة الثانية: تدرس الدلالة الضمنية أو المعنى التواصلي المقصود بالكلام.

ج-تداولية الدرجة الثالثة: تتمثل في نظرية أفعال الكلام (بوقرة، 2009، ص 162؛ الشمري، 2024؛ الرشيدي، 2024؛ واصل،)، إذ تشكّل أفعال الكلام أحد المكوّنات المركزية في الدرس التداولي، إذ تنظر إلى اللغة بوصفها أفعالًا تُنجَز عبر القول، لا مجرّد ألفاظ تُنقَل.

والفعل الكلامي هو: "كل ملفوظ يفضي التلفظ به في شروط معينة إلى حدث أو فعل، ويُنتج هذا الفعل آثارا لغوية، وقد تكون غير لغوية" (شيتر، 2009، ص 149) فالمرسِل لا يكتفي بنطق العبارات، بل يمارس من خلالها جملةً من المقاصد: الإخبار، والطلب، والتوجيه، والوعد، والنصح، والتقويم. ومن ثَمّ تُدرَس اللغة في بعدها الإنجازي، وفيما تحدثه من آثار مباشرة وغير مباشرة في المخاطَب.

فإذا كانت التداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال، فإن الأفعال الكلامية هي المجسد الحقيقي للاستعمالات اللغوية في الواقع؛ ذلك أن " الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه" (دايك، 2001، ص 18)، فالمتكلمون ينجزون أفعالا عبر ألفاظهم، فالكلمات تحمل إلى جانب الدلالة، أفعالا وتأثيرا؛ فكل قول يخبر عن شيء أو يصرح بآخر، أو يطلب أمرا ما، أو يعد أو يشكر، أو يتمنى، فوظيفة اللغة لا تنحصر في نقل المعلومات، والتعبير عن النفس، وإنما تتجاوز ذلك فتحول الأقوال إلى أفعال منجزة ومؤثرة (كرازي، 2018، ص 36).

وقد ظهرت ملامح "نظرية أفعال الكلام" في تراثنا العربي، فقد عالج البلاغيون الترابط القائم بين الخصائص الشكلية والخصائص التداولية للعبارات والأساليب النحوية، وقد دُرست الأفعال الكلامية -الخبر والإنشاء- في إطار "علم المعاني" الذي يعرفه السكاكي بقوله: "اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره" (السكاكي، 1987، ص 161).

فعلم المعاني يهتم بمقولات من قبيل مقولة الإفادة، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال: حال السامع، والمعنى السابق إلى الفهم أثناء العملية التواصلية، وبالقواعد التي تحكم عملية الانتقال من الأغراض الأصلية إلى الأغراض الفرعية. ويميز السكاكي بين أسلوبي الخبر والطلب استنادا إلى معايير الهدف، واتجاه المطابقة مع الواقع، والحالة النفسية للمتكلم، وطبيعة العلاقة القائمة بينه وبين المخاطب، والصيغة ومضمون العبارة اللغوية (الزهري، د.ت، ص 55).

كما يربط السكاكي الكلام بسياقاته المختلفة. فلكل مقام مقال. يقول: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل. وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يباين مقام الكلام على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر" (السكاكي، 1987، ص 168).

فإذا كان الخبر لا يعدو أن يكون "الحكم بمفهوم لمفهوم" (السكاكي، 1987، ص 167)، فإنّ له استعمالات متباينة لتباين مقامات ورودها، فمن المقامات ما يقتضي إطلاق الحكم، ومنها ما يقتضي تأكيده، ومنها ما يلزم تخصيص المسند، ومنها ما يتطلب الإيجاز، ومنها ما يتطلب الإطناب، وقد فرق بين الأخبار بحسب حال المخاطب وقسمها إلى ثلاثة أضرب:

- ابتدائي يلقى إلى خالي الذهن لإفادة المخاطب حكما إما إثباتا أو نفيا: زيد عارف.
- طلبي يلقى إلى مخاطب طالب للمعلومة يستحسن تقوية معناه بمؤكد: لزيد عارف/ إنّ زيدا عارف.
- إنكاري يلقى إلى مخاطب معترض على حكم ما ليرده إلى حكم نفسه: إنّ زيدا لعارف (السكاكي، 1987، ص 171).

ويورد السكاكي قول الكندي لأبي العباس ليبين الفرق بين أضرب الخبر الثلاثة: "إني أجد في كلام العرب حشوا. يقولون: عبد الله قائم، إنّ عبد الله قائم. ثم يقولون إن عبد الله لقائم والمعنى واحد" (السكاكي، 1987، ص 171). فيجيب أبو العباس بأن المعاني مختلفة "فالأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال سائل، والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه" (السكاكي، 1987، ص 171)، فالمحتوى القضوي لهذه الجمل-على تعبير سيرل- واحد وهو إسناد القيام إلى عبد الله، لكن الاختلاف يكمن في شدة قوة الفعل الإنجازي؛ "فسؤال الكندي وجواب المبرد يكشف لنا عن موقفين أحدهما لفيلسوف لا يرى في الكلام إلا معناه القضوي دون نظر إلى معناه الإنجازي الذي يراد به، فهو لا يرى في الأمثلة السابقة إلا نسبة القيام إلى [عبد الله]، والقضية تقوم على هذه النسبة، فلم يتجاوزها فكره، أما المبرد فهو لغوي أديب ذو بصر حديد بأن المعنى الذي يقصده المتكلم يتخذ له من الوسائل اللغوية والمقامية ما يعين على إدراكه فقد أدرك أن قصد المتكلم مراعى فيه حال المخاطب" (نحلة، د.ت، ص 108).

كما تحدث السكاكي عن خروج الأساليب الخبرية والطلبية عن معانيها الأصلية إلى معان فرعية حيث قال: "والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان: الخبر والطلب المنحصر في الأبواب الخمسة... وما سوى ذلك نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل"(السكاكي، 1987، ص 164) ويقول في موضع آخر: "متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولد منها ما ناسب المقام"(السكاكي، 1987، ص 302) فكيف تناول السكاكي خروج الطلب من المعاني الأصلية إلى المعاني الفروع؟ الطلب هو القانون الثاني من علم المعاني، وأغراضه الأساسية خمسة: الاستفهام، والتمني، والنداء، والأمر، والنهي. ويرتكز الطلب على المبادئ التالية: التصور، والمطلوب، ومطلوب غير حاصل وقت الطلب (أبو الريش، 2018، ص 9).

ويوضح السكاكي الشروط التي تضبط إجراء معاني الطلب على أصلها أي داخل مقامات تتلاءم وشروط الإجراء على الأصل بحيث تحمل العبارة اللغوية المعنى الذي تدل عليه صيغتها. يقول في التمني الذي يقع تحت شرط "غير ممكن الحصول": "أوما ترى كيف تقول ليت زيدا جاءني. فتطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعا فيه مع حكم العقل امتناعه، أو كيف تقول ليت الشباب يعود، فتطلب عود الشباب مع جزمك أنه لا يعود"(السكاكي، 1987، ص 303).

ويقول في النوع الثاني من الطلب والذي يقع تحت شرط "ممكن الحصول": "والاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن، إما أن يكون حكما بشيء على شيء أو لا يكون.[...] وأما الأمر، والنهي، والنداء فلطلب الحصول

في الخارج، إما حصول انتفاء متصور،[...]، وإما حصول ثبوته،[...]، والفرق بين الطلب في الاستفهام، وبين الطلب في الأمر والنهي والنداء واضح، فإنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج مطابق، فنقش الذهن في الأول تابع وفي الثاني متبوع"(السكاكي، 1987، ص 304).

لقد فرق السكاكي بين الطلب بالأمر، والنهي، والنداء، والطلب بالاستفهام بالاختلاف في اتجاه المطابقة، وهو ما ذهب إليه سيرل وأخذ به كمعيار للتفريق بين الأفعال الكلامية (أبو الريش، 2018، ص 10).

لعل هذا ما يمكن ذكره من أصول لأفعال الكلام في التراث العربي البلاغي، كما جاء في عدد من الدراسات إشارات إلى ملامح لنظرية أفعال الكلام عند النحويين والأصوليين لا يتسع المقام لذكرها هنا، ويمكن العودة إليها لمن أراد الاستزادة في مضانها (صحراوي، 2005؛ نحلة، د.ت).

وعند الحديث عن أفعال الكلام في الدراسات الغربية الحديثة يتوجب الوقوف عند جهود **أوستين وسيرل** بوصفهما رواد هذه النظرية، إذ يقر **أوستين** بأن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل، ويميز بن ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية:

العمل الأول، هو: **العمل القولي**، وهو العمل الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما **(فعل القول)**.

العمل الثاني، هو: **العمل المتضمن في القول**، وهو العمل الذي يتحقق بقولنا شيئا ما **(فعل الإنجاز)**.

العمل الثالث، هو: **عمل التأثير بالقول** وهو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئا ما **(فعل التأثير)** (روبول، وموشلار، 2003، ص 31، 32).

"ونجد في هذه النظرية أن الفعل الإنجازي يتعلق بالمرسِل، أما الفعل التأثيري فإنه يتعلق بالمرسَل إليه، لأنه يتوجه إليه، وقد لا تكتمل دائرة التأثير فيه إلا عند حدوث رد فعل من المرسَل إليه"(الشهري، 2015: 1/ 117)، ثم قَدم أوستين تصنيفا لأفعال الكلام مستندا إلى قوتها الإنجازية، حيث قسمها إلى:

1- - أفعال الأحكام (القرارات التشريعية): "يتعلق الأمر بإصدار حكم حول شيء ما، و اقعيا كان أم قيمة".

2- أفعال القرارات (الممارسات التشريعية): تتمثل في "ممارسة السلطة والقانون والنفوذ، وأمثلة ذلك التعيين في المناصب، والانتخابات،...".

3- أفعال التعهد (الأفعال الإلزامية): "نموذجه إعطاء الوعد أو التكفل والضمان، والتعهد، وفي كل هذا يلتزم الإنسان أن يفعل شيئا ما".

4- أفعال السلوك (الأوضاع السلوكية): تختص "بمجموعة منتشرة لا يمكن حصر أطر افها بسهولة، ولكنها تندرج تحت باب السلوك والأعراف المجتمعية وأمثلتها: الاعتذارات، والتهاني والتعازي، والقسم...".

5- أفعال الإيضاح (المعروضات الموصوفة): "هذه أصعبها تعريفا، ولكنها تبين كيف أن العبارات المتلفظ بها تجري مجرى الاحتجاج والنقاش...وأمثلة ذلك: أجيب، وأحتج، وأعارض...وأوضح، و أفترض" وتستخدم لإيضاح وجهة النظر، مثل الاعتراض، والتشكيك، والإنكار، والموافقة (أوستين، 1991؛ ص 175؛ نحلة، د.ت، ص 46).

وقد جاء **سيرل** ليطور نظرية أفعال الكلام بإضافة ما اسماه **بالأفعال الكلامية غير المباشرة**، "حيث ينقل المتحدث إلى المستمع أكثر مما تحمله الكلمات اعتمادا على الخلفية المعرفية المشتركة بينهما سواء كانت لغوية أو غير لغوية إضافة إلى قدرة المستمع على الاستنتاج والتعقل والتفكير، ويثير مفهوم الأعمال الكلامية غير المباشرة مسألة إمكانية قول شيء من جانب المتحدث يحمل ما يقول من معنى، كما يحمل معنى إضافيا آخر" (عزت، 1996، ص 51).

كما ميز بين أربعة أفعال لغوية، هي:

أولا: فعل التلفظ: وهو إنتاج عبارة لغوية طبقا للقواعد الصوتية والتركيبية للغة معا.

ثانيا: الفعل القضوي: وينقسم إلى فعلين فرعيين هما: الفعل الإحالي والفعل الحملي، ويتم إنجاز الفعل القضوي بشقيه حين يسند إلى ذات ما خاصية ما.

ثالثا ورابعا: الفعلان الإنجازي والتأثيري: فلا يختلفان في اقتراح سيرل عنهما في اقتراح أوستين، إذ يتلازمان مع مفهوم قوة التلفظ التي تجسد النتائج والتأثيرات التي تحدثها أفعال الكلام الإنجازية في أفكار ومعتقدات وأفعال المخاطب (نحلة، د.ت، ص 33، 34).

وقد صنف سيرل أفعال الكلام في أصناف خمسة، هي:

أولا: الإخباريات (التمثيليات، أفعال الإثبات، التقريرات): غرضها الإنجازي نقل المتكلم واقعة ما، وأفعال هذا الصنف تحتمل الصدق والكذب.

ثانيا: التوجيهات (الطلبيات، أفعال التوجيه): الغرض الإنجازي فيها توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، ويدخل فيها الاستفهام والأمر والرجاء والاستعطاف والتشجيع، والدعوة والإذن والنصح، والتحدي.

ثالثا: الالتزاميات (الوعديات): غرضها الإنجازي التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، وتختلف عن التوجيهات في أن المتكلم في التوجيهات يحاول التأثير في السامع، أما في الالتزاميات فلا يحاول ذلك.

رابعا: التعبيريات (الإفصاحات): غرضها الإنجازي التعبير عن الموقف النفسي، ويدخل في هذا الصنف: أفعال الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والتعزية، والترحيب.

خامسا: الإعلانيات (التصريحات، الإيقاعيات): غرضها إحداث تغيير عن طريق الإعلان أو التصريح، واتجاه المطابقة فيها مزدوج من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص، ويميز هذه الأفعال أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم، مثل تعيينك رئيسا، أو إعلانك الحرب (سيرل، 2001، ص 183، 184؛ موشلر، وروبول، 2003، ص 76).

تبرز أهمية دراسة أفعال الكلام في الرسالة العذراء؛ لأن الشيباني لم يكتب رسالة أدبية فحسب، بل أدار فيها فعلًا تواصليًا متكاملًا يعتمد على توجيه المخاطَب وإعادة تشكيل موقفه، فافتتاحه بالدعاء يمثّل فعلًا إنجازيًا يشي بمقام المخاطبة، ويُرسّخ العلاقة بين كاتب الرسالة والمخاطبين، كما تتوزّع في الرسالة أفعال النصح، والتقويم، والتوبيخ الرقيق، والتحريض على المراجعة، والعرض الحجاجي، وكلّها تشتغل بوصفها أدوات تأثيرية تشكّل بنية الخطاب وغايته التوجيهية.

وتكشف دراسة أفعال الكلام عن الكيفية التي بُني فيها الخطاب ليؤدّي دورًا عمليًا في توجيه المتلقي؛ فالتشديد على الحكمة، والتحذير من الخطأ، وتحديد المعايير النقدية ليست مجرد تعبيرات لغوية، بل أفعال تُمارَس على المخاطَب بهدف تعديل سلوكه، وتصحيح نظرته إلى الكتابة وإلى نفسه، وبذلك تُسهم المقاربة التداولية في إظهار الرسالة كفعل اجتماعي يتجاوز حدود البلاغة الإنشائية إلى استراتيجية تواصلية واعية تُوظّف اللغة أداةً للتأثير والإقناع، وسأسير في الكشف عن الأفعال الكلامية وفق تقسيم سيرل، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: الإخباريات

تأتي في الرسالة حجج إقناعية تُقدَّم لتحقيق نتيجة بعينها (العزاوي، 2006، ص 14)، وقد جاءت في نص الرسالة لتقرير حقائق بلاغية، أو وصف واقع صناعة الكتابة لتأسيس قاعدة علمية يَجدر بالكتَّاب السير عليها، ومن هذا ما جاء في

بيان مكانة صناعة الكتابة: "إن أدوات ديوان المحاسن، وآلات المكارم طاعة منقادة لهذه الصناعة التي خطبتها"(الشيباني، 2003، ص 319)، ويأتي هذا للتأكيد على أهمية صناعة الكتابة وردّ المحاسن والمكارم لها بوصفه فعلا إخباريا حجاجيا يمهد منطقيا لفرض (أفعال توجيهية) تأتي بعده؛ إذ يبرهن على أهمية صناعة الكتابة، وتلك الحجة تعد قاعدة تمكن الكاتب من بناء توجيهاته اللاحقة عليها؛ فالفعل الكلامي الإخباري هنا يتجاوز المعنى اللغوي إلى الوظيفة التأثيرية التي تهدف لتوجيه المخاطب نحو نتيجة بعينها كما عند أوزوالديكر وأنسكومبر اللذين تنطلق نظريتهما من الفكرة الشائعة التي مؤداها:" أننا نتكلم عامة بقصد التأثير" (العزاوي، 2006، ص 14).

وتمثّل هذه المقدمة عتبة النص الاستهلالية، وتتلوها حزمة من الوصايا الفنية التي تستدعي حضور ذهن المتلقي وعنايته الفائقة، ومن ذلك قوله في بيان سبيل اكتساب العلم والصناعة: "واعلم أن الاكتساب بالتعلم والتكلف، وطول الاختلاف إلى العلماء، ومدارسة كتب الحكماء" (الشيباني، 2003، ص 320)، فالفعل القولي هنا بدأ بفعل الأمر(اعلم) الموجه للمخاطب، متبوعا بجملة اسمية مؤكدة بـ(أن) تقرر عددا من الحقائق في تحصيل العلم وصناعة الكتابة، أما الفعل الإنجازي فهو توجيهي غايته النصح والإرشاد، وهو في الوقت ذاته إخباري يحمل حقيقة يلتزم الكاتب بصدقها، ويبني عليها نصائحه اللاحقة، والكاتب لا يهدف إلى تحقيق المعرفة الذهنية عند المخاطب، بل يستلزم قوله حثا للمخاطب على العمل والقراءة ومجالسة العلماء، أما الفعل التأثيري فيتجلى في جانبين:

الأول: إقناع المتلقي بأن الموهبة وحدها لا تكفي، بل لا بد من الاجتهاد في قراءة كتب المتأخرين والمتقدمين من الكتاب ومجالسة العلماء.

الثاني: تغيير السلوك؛ بدفع المتلقي إلى (طول الاختلاف إلى العلماء) أي البحث عن القدوة، والاستمرار في التردد على العلماء والتعلم منهم.

وقد اختار الكاتب لفظة (التكلف) ليعزز القوة التوجيهية، فصناعة الكتابة تتطلب مكابدة، وهذا يزيد من قوة الفعل التوجيهي، كما اختار لفظة" طول الاختلاف" الذي يبين ضرورة الاستمرارية كشرط للنجاح.

فالفعل هنا توجيهي إرشادي (اعلم أن...) وفي الوقت ذاته إخباري تقريري (الاكتساب بالتعلم والتكلف، وطول الاختلاف إلى العلماء، ومدارسة كتب الحكماء) يؤكد ضرورة الاجتهاد في طلب العلم.

ثم يتجه الكاتب لتقرير آخر يبين فيه طريق الوصول إلى كمال صنعة الكتابة، فيقول: "ومن كمال آلة الكاتب: أن يكون بهي الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المودة، عطر الرائحة، دقيق الذهن، صادق الحس، حسن البيان،..." (الشيباني، 2003، ص 322).

الفعل الكلامي هنا إخباري تقريري في مستواه الظاهري، فالكاتب يلتزم بصدق قضية مفادها أن "الكمال" في مهنة الكتابة لا ينفصل عن هذه الصفات، وتظهر في المستوى المقاصدي الأفعال التوجيهية المستترة التي تكمن قوتها الإنجازية في النصح والإرشاد، فعندما يقول الشيباني: "أن يكون بهي الملبس، نظيف المجلس..."، فهو يمارس فعلًا توجيهيًا (غير مباشر) يهدف إلى جعل "الكاتب" (المستقبِل) يغير من سلوكه وهندامه ليتطابق مع هذه الصفات. فـ (بهي الملبس) تستلزم: "البس ثيابًا حسنة."، و(نظيف المجلس) تستلزم: "اعتنِ بمكان عملك." و(دقيق الذهن، صادق الحس) تستلزم الحرص على تنمية الملكات الذهنية.

ويمكن هنا ملاحظة دمج الشيباني بين **"الظاهر "**(بهي الملبس، عطر الرائحة) و**"الباطن"** (دقيق الذهن، صادق الحس) في بنية إنجازية واحدة، وهذا يشير إلى أن "مقام التواصل" في الترسل لا يعتمد فقط على ما تقوله، بل على "الهيئة" التي تظهر بها أثناء قولك، وهو ما يعزز فكرة **"المقام التداولي "**بجوانبه كافة.

كما تظهر في ثنايا النص أفعال تعكس حالة التقدير والقيم التي يحملها الكاتب تجاه مهنة الكتابة، وهي ما يمكن تصنيفها ضمن الأفعال التعبيرية؛ إذ يعبر الشيباني عن الإعجاب والتبجيل لمهنة الكتابة عبر ربطها بـ "الكمال". فهو لا يسرد صفات جافة، بل يعبر عن "رؤيته" لما يجب أن تكون عليه صورة الكُتّاب من الكمال الظاهري والباطني على حد سواء.

وقد يتمثل الفعل الإخباري في النقل والاستشهاد، فالكاتب يقرر حقيقة قول العلماء، نحو ما نقله عن العتابي: " ما رأينا فيما تصرفنا فيه من صنوف الآداب...، شيئا أصعب مراما...من الصناعة التي خطبتها، والمعنى الذي طلبته، وليس شيئا أصعب من اختيار الألفاظ، وقصدك بها إلى المعنى الذي طلبته" (الشيباني، 2003، ص 348)، وقول البرامكة في بيان مكانة الكتاب:" رسائل المرء في كتبه دليل على عقله، وشاهد على غيبه" (الشيباني، 2003، ص 349)، فالقوة الإنجازية المباشرة: هي الإخبار بآراء السابقين لتوثيق القواعد البلاغية، والقوة الإنجازية غير المباشرة (الاستلزام الحجاجي)، وهي "البرهنة بالسلطة" فالكاتب يعزز صدق دعواه بالاستشهاد بأقوال العلماء والوزراء، ويعد الاستشهاد من دعامات الحجاج القوية، فبها يعلو الخطاب درجة عن بقية الكلام، مما يجعلها ترقى في السلم الحجاجي إلى ما هو أرفع (الشهري، 2015: 2/ 329).

ومن الإخباريات في الرسالة ما جاء في وصف الخط:" من فضيلة الخط أنه لسان اليد، ورسول الضمير، ودليل الإرادة، والناطق عن الخواطر، وسفير العقول، ووحي الفكر"...." (الشيباني، 2003، ص 365).

الفعل القولي: يتمثل في التلفظ بسلسلة من التعريفات للخط (لسان اليد، رسول الضمير، دليل الإرادة، ناطق الخواطر، سفير العقول، وحي الفكر). وهو الجانب اللغوي الذي يربط بين "الخط" وبين "أدوات الإدراك والتعبير" الإنسانية.

أما القوة الإنجازية، فهي (الإقرار والترسيخ لقيمة الخط والكتابة)، فالشيباني لا "يصف" الخط وصفًا عارضًا، بل يُخبر بحقائق جوهرية ترفع من شأن الكتابة. فالفعل الإنجازي يهدف إلى تثبيت مكانة الخط؛ فهو ليس مجرد رسم، بل هو الناقل الذي يعبر عما في العقل والقلب.

والأثر المطلوب إحداثه في المتلقي هو (التعظيم والالتزام بجودة الأداة)، من خلال إخبار الكاتب بأن الخط هو "سفير عقله" و"رسول ضميره"، فيولد الشيباني لدى المتلقي شعورًا بضخامة المسؤولية؛ فإهمال الخط هو إهمال لسفير العقل، والتقصير فيه هو تقصير في تبليغ وحي الفكر، كما يقرر الشيباني حقيقة تداولية، وهي أن الخط هو "الوسيط" الذي ينقل الباطن إلى الظاهر.

ووصف الخط بـ(سفير العقول) و(وحي الفكر) ينقل الخبر من الحيز المادي إلى الحيز القدسي والمعرفي، فالشيباني يخبرنا بأن الخط هو "الأداة الوحيدة" التي تملك صلاحية تمثيل العقل، مما يجعل من "الإخبار" هنا وسيلة لتعريف الكاتب بقيمة "الرسول" الذي يحمله بين أصابعه.

ويستلزم الإطناب في ذكر المترادفات الوظيفية (لسان، رسول، دليل، ناطق، سفير، وحي) أن الكاتب الذي لا يتقن الخط هو (أبكم العقل) أو (معزول الضمير)، وهذا يستلزم حواريًا أن كمال الكاتب لا يتحقق إلا بكمال أداته التعبيرية.

فالشيباني لا يكتفي بالوصف الجمالي، بل يقرر حقائق تداولية تجعل من الخط 'القوة الإنجازية' الكبرى في التبليغ، ومن خلال تضافر القوة القولية والتأثيرية، ينجح الشيباني في إحداث نقلة في وعي المتلقي، محولًا الخط من (مهارة يدوية) إلى (قوة تعبيرية) تمثل العقل والضمير، مستلزمًا حواريًا أن براعة الخط هي الطريق لسلامة وصول الفكر إلى الآخر.

المبحث الثاني: التوجيهات (الطلبيات، أفعال التوجيه)

يستشهد ابن المدبر هنا بقول الشيباني:" فإن تقاضتك نفسك علمها، ونازعتك همتك إلى طلبها، فاتخذ البرهان دليلا شاهدا، والحق إماما قائدا، يقرب مسافة ارتيادك ويسهل عليك سبلها، واستوهب الله توفيقًا تستنجح به، واستمنحه رشدا يقبل إليك بوجه مذاهبك، فاقصد في ارتيادك، وتأمل الصواب في قولك وفعلك" (الشيباني، 2003، ص 319) تكشف هذه الفقرة عن بنية توجيهية تعتمد على " فعل الأمر" الصريح: (اتخذ، استوهب، استمنح، اقصد، تأمل)، فالفعل اللفظي (القولي): فعل الأمر، أما الفعل الإنجازي: فهو النصح والإرشاد، وليس الأمر الإلزامي السلطوي، أما الفعل التأثيري فهو انصياع المتلقي لمنهج الكتابة بالبرهان والدليل والتزام الحق، وطلب العون من الله.

ولا يخفى على القارئ أن المايزة بين أفعال الكلام في نص من النصوص ضرب من الاجتهاد؛ فكل فقرة تحوي ضروبا منها وإن غلب أحدها على الآخر؛ فالفقرة السابقة توجيهية لكنها حوت تقريرا في قوله: (يقرب مسافة ارتيادك، ويسهل عليك سبلها) هذه الأفعال ليست أوامر، بل هي تقريرات لوقائع مستقبلية يضمنها المتكلم للمخاطب إذا التزم بالتوجيهات، وظيفتها هنا هي "التحفيز" عبر الإخبار بالمنفعة المرجوة.

وفي هذا النص (استلزامات حوارية) إذ يقتضي قوله (اتخذ البرهان دليلا شاهدا، والحق إماما قائدا) أن طريق العلم محفوفة بالشكوك والأخطاء، الأمر الذي يستوجب التثبت والبحث عن الدليل والبرهان.

وفي قوله: "فإن تقاضتك نفسك علمها... فاتخذ البرهان دليلًا" يستلزم النص حواريًا أن "العلم بدون برهان ليس علمًا حقيقيًا". والكاتب لا يقول ذلك صراحة، لكنه ربط رغبة العلم بالبرهان، واستلزم استبعاد ما سواه (كالقول بلا دليل ودون تثبت).

وعندما يقول الكاتب: "واستوهب الله توفيقًا" و"استمنحه رشدًا"، وهو يوجه هذا الكلام لطالب العلم، يستلزم النص حواريًا أن البرهان لا يكفي دون سداد وتوفيق من الله، وقد يستلزم تحذير طالب العلم من الغرور ببرهانه، لذا جاء الاستلزام بضرورة الافتقار إلى الله لكسر حدة الاعتداد بالنفس.

ومن الأفعال التوجيهية ما جاء بصيغة النهي، نحو قوله: "ولا تسكن إلى جحود قصد السابق باللجاج، ولا تخرج إلى إهمال حق المصيب بالمعاندة والإنكار" (الشيباني، 2003، ص 319)، في هذه الفقرة يبين أخلاقيات المناظرة وآداب الجدل، ويكشف عن الآفات النفسية التي تحول دون قبول الحق والاعتراف به؛ فيحذر من إنكار فضل من تقدم مع العلم به، والتمادي في الخصومة والتعنت دون رأي أو حجة ظاهرة، كما يحذر من ضياع الحق مكابرة وعنادا فيغيب الحق بحثا عن (الغلبة) في الحوار لا (استبانة للحق).

فالفعل الكلامي القولي، هو: النهي (لا تسكن، ولا تخرج) أما الفعل الإنجازي: فغرضه المنع من تجاوز حدود العدل والإنصاف، أما الفعل التأثيري، فهو: ضبط أخلاقيات الكاتب والابتعاد عن الرذائل الأخلاقية التي تمنعه من نصرة الحق والاعتراف به، حتى لو جاء على لسان خصمه.

والنهي عن الجحود يستلزم حواريا أن الاعتراف بسبق الآخرين وفضلهم جزء من أخلاق الكتاب، كما يستلزم أن الحق منفصل عن قائله، وقبوله واجب دون النظر إلى قائله وعلاقتك به، فالحجة الضمنية هنا هي: أن فساد الأخلاق (المعاندة) يؤدي بالضرورة إلى فساد المعرفة (إهمال الحق). فلا يمكن للكاتب أن يصل إلى "البرهان" الذي ذكره في الفقرة السابقة وهو متلبس بـ"اللجاج".

ومن الأفعال التوجيهية الواردة في الرسالة ما جاء في قول الشيباني: "فإن إلباسك المعنى-وإن شرف وصلح-لفظا مختلفا عن قدر المكتوب إليه، لم تجر به عادتهم، تهجين للمعنى، وإخلال بقدره، وظلم لحق المكتوب إليه ونقص مما يجب له" (الشيباني، 2003، ص 326)، يمثل هذا النص قاعدة ذهبية في تداولية الخطاب وأدب الكتابة عند العرب، حيث يربط بين "المعنى" و"اللفظ" وبين "المرتبة الاجتماعية" للمخاطب.

فالفكرة المحورية هنا هي "المناسبة"؛ أي ضرورة صياغة الكلام (اللفظ) بما يتوافق مع قدر الشخص الموجه إليه الخطاب (المكتوب إليه). فالكاتب يحذر من أن إعطاء المخاطب كلامًا لا يليق بمكانته -سواء كان أدنى أو أعلى من قدره- يؤدي إلى فساد عملية الاتصال، حتى وإن كان المعنى في حد ذاته شريفًا وصحيحًا.

ويحسن بنا بيان المراد من التوجيه السابق، فقوله: "وإن شرف وصلح": جملة اعتراضية تؤكد أن جودة الفكرة (المعنى) لا تشفع لصاحبها إذا أخطأ في اختيار القالب اللغوي (اللفظ) المناسب للمخاطب، وقوله: "لم تجر به عادتهم": إشارة إلى العرف الاجتماعي واللغوي؛ فالكلام عند العرب "مقامات"، ولكل مقام مقال، وقوله: "تهجين للمعنى" أي جعل المعنى مستقبحًا أو غريبًا (هجينًا) بسبب اللفظ غير المناسب تمامًا كمن يلبس ثيابًا رثة في حضرة ملوك، فتسقط هيبته رغم رجاحة عقله، وقوله :"إخلال بقدره": تعني إنقاص من قيمة المعنى الأصلي، وقوله: "ظلم لحق المكتوب إليه": باعتبار أن المخاطَب له "حق" في أن يُخاطب بما يليق به، وتجاوز ذلك يُعد اعتداءً أخلاقيًا وأدبيًا.

وقد حوت هذه الفقرة أفعالا تقريرية، فالكاتب يقرر حقيقة فنية وأخلاقية (إلباسك المعنى لفظًا مختلفًا... تهجين للمعنى). فهو يلتزم بصدق هذه المقولة كقاعدة في أدب الكتابة، والقوة الإنجازية هي "التحذير والنهي"؛ فبالرغم من أن الكلام يبدو إخباريًا، إلا أن قوته الحقيقية تكمن في نهي الكُتّاب عن عدم مراعاة مراتب الناس.

وقد اعتمد النص على "التقسيم والترتيب" لإحداث أثر حجاجي؛ أثر على المعنى (تهجين، إخلال)، وأثر على العلاقة (ظلم للحق، نقص للواجب). هذا التدرج ينقل المشكلة من مجرد "خطأ لغوي" إلى "خطيئة أخلاقية" واجتماعية، وهو أسلوب حجاجي.

كما يستلزم النص حواريًا أن "البلاغة ليست في تزويق اللفظ، بل في تقدير الشخص"، ويستلزم أيضًا أن الكاتب الناجح هو "سوسيولوجي" (عالم اجتماع) قبل أن يكون لغويًا، لأنه يجب أن يدرك "عادات" الناس ومقاديرهم قبل أن يشرع في الكتابة إليهم.

فهذا النص من "الرسالة العذراء يرسخ مفهوم "مراعاة مقتضى الحال". فالبلاغة هنا ليست مجرد مطابقة اللفظ للمعنى، بل مطابقة (اللفظ + المعنى) لـ (شخصية المخاطب)، فالنص يؤسس لقاعدة تداولية مركزية في أدب الكتابة العربية، وهي (مراعاة مقتضى حال المخاطب)، وهي من القواعد الحاضرة في كتب البلاغة العربية القديمة، نحو ما يظهر عند الجرجاني (الجرجاني، د.ت، ص 24) الذي يجعل مراعاة مقتضى الحال ركنا من أركان نظرية النظم التي أقام عليها درسه البلاغي، حيث ينزل المتكلم الناس منازلهم، ويخاطبهم بما يناسب عقولهم وأحوالهم النفسية.

فمن منظور أفعال الكلام، يحمل النص قوة إنجازية تحذيرية؛ حيث لا ينظر إلى الخطأ في اختيار اللفظ الملائم لقدر المكتوب إليه بوصفه زللًا لغويًا فحسب، بل يصنفه ظلمًا أخلاقيًا وإخلالًا بحق تداولي أصيل.

ويستلزم النص حواريًا أن شرف المعنى وصحته لا يحققان المقصد التواصلي إذا انفصلا عن العرف الاجتماعي (لم تجر به عادتهم)، وقد عمد الكاتب إلى توضيح أن بلاغة الخطاب ليست في جمالية اللفظ في ذاته، بل في "لياقته" وقدرته على تجسيد مرتبة المخاطب، محققًا بذلك التوازن بين الوظيفة الجمالية (اللفظ) والوظيفة الاجتماعية (القدر).

ومن الأفعال التوجيهية في الرسالة، قول الشيباني: "انظر في كتب المقامات والخطب، ومحاورات العرب، ومعاني العجم، وحدود المنطق، وأمثال الفرس ورسائلهم، وعهودهم وتوقيعاتهم، وسيرهم ومكايدهم في حروبهم، بعد أن تتوسط في علم النحو والتصريف، واللغة، والوثائق والشروط، ككتب السجلات والأمانات، فإنه أول ما يحتاج إليه الكاتب" (الشيباني، 2003، ص 320، 321).

يُلحظ سيطرة الأفعال التوجيهية على هذه الفقرة، وذلك من خلال استهلالها بفعل الأمر (انظر)، فالغرض هو توجيه المتلقي للقيام بفعل مستقبلي (البحث والتحصيل)، وهي تخرج من أستاذ يمتلك "سلطة المعرفة" إلى طالب ينشد "أسرار الصنعة"؛ إذ يتضح من هذه الفقرة كيف وجه الشيباني الكُتّاب إلى ضرورة الحرص على سعة المعرفة وشمول مصادر التعلم، وجعلها في مراتب يسبق بعضها بعضا في الأهمية.

والفعل القولي في هذه الفقرة: يتمثل في منطوق الشيباني بوجوب النظر في قائمة العلوم (المقامات، الخطب، المنطق، لغة العجم والفرس، النحو..). وهو الجانب الصوري اللغوي للنص، أما القوة الإنجازية الكامنة في فعل الأمر (انظر)، فهي (التقعيد والتشريع المنهجي)، إذ إن الشيباني هنا لا "ينصح" بصفة اختيارية، بل يضع "دستورًا معرفيًا" لا تصح هوية الكاتب دونه، أما الأثر المقصود إحداثه في "المرسل إليه" (الكاتب الناشئ) فهو (الامتثال المنهجي) واستشعار ضخامة المسؤولية المعرفية؛ مما يدفع المتلقي إلى الإقرار بضرورة التحصيل الموسوعي قبل ممارسة الصنعة.

ويتضح من توجيه الشيباني السابق أن "صناعة الكتابة" لا تنحصر في إتقان علوم اللغة وقواعد الكتابة، فتوجيهه يستلزم حواريًا أن الكاتب هو "رجل الدولة" المحيط بشؤونها، وفي هذا تعظيم لشأن الصنعة، وبيان مدى ثقل المسؤولية الملقاة على كاهل الكاتب، فعليه أن يسعى لتنمية ثقافته، وتوسيع مداركه، وهو بهذا يعلي منزلة الكاتب ويرفع شأنه.

والشيباني لا يكتفي بتوجيه الكُتَّاب إلى تعلم العلوم، بل يسعى لنقلهم من التحصيل المعرفي إلى التمكن الأدائي فيطلب منهم المهارة في الاقتباس، والابتكار في الألفاظ، وذلك في قوله: "تمهر في نزع آي القرآن في مواضعها، واجتلاب الأمثال في أماكنها، واختراع الألفاظ الجزلة، وقرض الشعر الجيد ومعرفة علم العروض"(الشيباني، 2003، ص 321).

فالفعل القولي هنا: هو النص الصريح الذي يحدد مهارات الكاتب في الاقتباس من القرآن، واجتلاب الأمثال، وابتكار الألفاظ، وقرض الشعر، أما القوة الإنجازية لهذا القول فتكمن في إلزام الكاتب بالإبداع في كتاباته، والتمهر فيها، وهذا ينقلنا إلى الأثر الذي يتركه القول في المتلقي وهو استنهاض همته إلى بلوغ مرتبة الإتقان في فنه، مما يولد لديه دافعية عالية للمران والتحصيل ليكون جديرا بلقب (الكاتب).

فالشيباني هنا يقصد إلى توجيه الكاتب إلى التميز والإتقان الفني، وهذا التوجيه يحوي أفعالا تقريرية ضمنية، فهو يقرر حقيقة مفادها أن الكاتب الحق هو من يحسن هذه الفنون الأدبية، وهذه القوة التقريرية هي التي تمنح "فعل الأمر" شرعيته في سياق الرسالة، وقد وظف الشيباني أفعالًا ذات دلالات قوية (نزع، اختراع) لتحقيق استلزام حواري يرفع من قيمة الذات المبدعة، ويجعلها في مقام الصانع المبتكر لا الناقل المكرر.

المبحث الثالث: الالتزاميات (الوعديات)

سأورد نموذجا يصلح مثالا على الالتزاميات في الرسالة، وهو قول الشيباني: "وأنا راسم لك -أيدك الله- من ذلك ما يجمع أكثر شرائطك، ويعبر عن جملة سؤالك، وإن طولت في الكتاب وعرضت، وأطنبت في الوصف وأسهبت، ومستقص على نفسي في الجواب، على قدر استقصائك في السؤال، وإن أخل به التياث الحال، وسكون الحركة، وفتور النشاط، وانتشار الروية، وتقسم الفكر، واشتراك القلب، والله المستعان" (الشيباني، 2003، ص 319).

تبرز أفعال الوعد والالتزام في قول الشيباني: "وأنا راسمٌ لك" و "مستقصٍ على نفسي". هذه الأفعال عند (سيرل) تُلزم المتكلم بفعل مستقبلي؛ فالكاتب هنا يقطع وعدًا أدبيًا ومنهجيًا بأن تكون إجابته وافية وشاملة (تجمع شرائطك، وتعبر عن سؤالك).

يبرز هذا المقطع من (الرسالة العذراء) ملامح "أخلاقيات الخطاب" من خلال تفعيل (أفعال الالتزام) التي يقطعها الكاتب على نفسه استجابةً لاستقصاء السائل، ويقيم النص توازنًا دقيقًا بين (قصد الإبانة) وبين (عوائق الإبانة) النفسية والذهنية؛ حيث يوظف الكاتب الإطناب الوظيفي لتصوير مكابدة الكتابة، مستلزمًا حواريًا أن كمال الجواب يرتبط بصدق التوجه وعمق الاستقصاء. فالنص يحمل بيانًا منهجيًا يربط بين الحالة النفسية للكاتب وبين جودة الإجابة، تحت مظلة الاستعانة بالله وطلب التوفيق منه سبحانه.

ومن الوعديات ما جاء في ختام الرسالة:" فاجعلها مثالًا بين عينيك... تهطل عليك شآبيب منافعها، ويُظلك منها بركاتها...".

يلتزم الشيباني في ختام رسالته ضمنًا وصراحةً بأن تمثّل هذه الوصايا الواردة في الرسالة سيؤدي حتمًا إلى "هطول المنافع" و"نيل البركات" الفنية، والقوة الإنجازية: هي (تعهد بالارتقاء)؛ فالشيباني يقطع وعدًا للمتلقي بأن هذا المنهج هو طريق البلاغة الذي يورده مناهلها ويصدر عنه وقد ارتوى ظمؤه.

ويجعل هذه الوعدية مشروطة بالمشيئة، وهو فعل التزامي يعكس أخلاقيات "الناصح" الذي يربط نجاح وعده بالتوفيق الإلهي، مما يعزز من صدق "القوة الإنجازية" للوعد في نفس المتلقي.

المبحث الرابع: التعبيريات (الإفصاحات)

برزت التعبيرات في نص الرسالة في صيغ الدعاء المتفرقة في الرسالة مثل قول المؤلف في مقدمتها: " فتَّقَ الله بالحكمة ذهنك، وشرح بها صدرك، وأنطق بالحق لسانك، وشرف به بيانك..." (الشيباني، 2003، ص 318)، وقد جاء الفعل القولي: بصيغة الفعل الماضي (فتق، شرح، أنطق، شرف) المسند إلى لفظ الجلالة، وهي جمل طلبية، وفعلها الإنجازي المباشر: الدعاء وتمني الخير والتوفيق للمخاطب، أما القوة الإنجازية غير المباشرة (المستلزمة)، فتظهر فيما يؤديه الدعاء من وظائف إنجازية مستلزمة، وهي : التلطف وتأليف قلوب المخاطبين وتقليل المسافة الاجتماعية بين المؤلف والسائل، وتهيئة المخاطب نفسيا لتقبل الأوامر والنصائح فيما يأتي من أجزاء الرسالة.

ويتكرر الدعاء بصيغ عدة في فصول الرسالة ليؤدي وظيفة إنجازية قضوية (استلزامية) تجعل المخاطب متهيأ لقبول النصيحة والعمل بالتوجيه (الشيباني، 2003، ص 319).

المبحث الخامس: الإعلانيات (التصريحات، الإيقاعيات)

ينطلق هذا الجزء من الدراسة من رؤية تداولية ترى في أحكام الشيباني النقدية ما يتجاوز وظيفة (الإخبار) أو (الوصف)، لتصنفها ضمن الأفعال الإعلانية وفق تصنيف جون سيرل؛ فالفعل الإعلاني، هو: ذلك القول الذي يُحدث تغييرًا في واقع المؤسسة أو العرف بمجرد التلفظ به من صاحب سلطة (سيرل، 2001، ص 76).

وبما أن الشيباني يتحدث من موقع (السلطة المعرفية) والريادة في صناعة الكتابة، فإن أحكامه النقدية لا تكتفي برصد العيوب أو المحاسن، بل هي أفعال تشريعية تُصيّر الفعل الكلامي عيبًا أو حسنًا بموجب هذا الإعلان، فحين يقرر الشيباني أن تمثّل الشعر أمام الخلفاء عيب واستهجان، فإنه لا يصف واقعًا قائمًا، بل يُنشئ حكمًا إلزاميًا يغير من القيمة التداولية للشعر في ذلك المقام؛ وبذلك تنتقل أحكامه من حيز النصيحة الاختيارية إلى حيز الإعلان الذي يحدد مشروعية

الفعل الإبداعي من عدمه، ويتضح هذا في مثل قوله: "إن تضمين المثل السائر، والبيت الغابر، مما يزين كتابتك، ما لم تخاطب خليفة أو ملكا جليل القدر، فإن اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء والجلة الرؤساء؛ عيب واستهجان للكتب، إلا أن يكون الكاتب هو القارض للشعر، والصانع له، فإن ذلك مما يزيد في أبهته، ويدل على براعته" (الشيباني، 2003، ص 321).

فالشيباني في هذا القول لا يكتفي بوصف العيوب، بل يُعلن مشروعية أو قبح الفعل الكلامي بناءً على مقتضى المقام، فقوله "فإن ذلك عيب"، يُعلن خروج هذا الفعل من دائرة القبول إلى دائرة الرفض، فالقوة الإنجازية هنا لا تصف القبح، بل "تُصيّره" قبيحًا في عرف الصنعة، وهو ما يغير الحالة التداولية للنص الشعري تَبَعًا لمقام المخاطب.

ولبيان مستويات الفعل الكلامي يمكن القول: إن الفعل القولي، هو: منطوق الفصل بين مخاطبة العامة ومخاطبة الخلفاء فيما يخص تمثّل الشعر والأمثال، أما الفعل الإنجازي، فهو: تقنين ذكر الشعر في مكاتبة الملوك ومن عداهم من العامة، والأثر المطلوب لدى المتلقي، هو: مراعاة مقام المرسل له، فما كان مسموحا به في مقام، قد يكون محظورا بموجب هذا الإعلان في مقام آخر.

ويظهر الاستلزام في "استثناء" الكاتب المبدع نفسه (القارض للشعر)، فالأصالة الإبداعية تمنح صاحبها حصانة، فالكاتب الذي ينطق بشعره الخاص أمام الملك لا يتمثل بقول غيره؛ بل "يُفصح" عن نفسه، مما يجعل "الإبداع الذاتي" هو الحالة الوحيدة التي يسمح فيها بذكر الشعر في مكاتبة الملوك.

ومما يمكن عدّه من الإعلانيات في نص الرسالة قوله: "طبقات الكلام ثمانية أقسام، فأربعة منها للطبقة العلوية، وأربعة دونها، ولكل طبقة منها درجة، ولكل قسمة خط لا يتسع للكاتب البليغ أن يقصر بأهلها عنها، ويقلب معناها إلى غيرها: فالطبقة العليا: الخلافة التي أعلى الله شأنها...".

في هذا النص، لا يكتفي الشيباني برصد واقع لغوي، بل يُنشئ نظامًا طبقيًا للقول يغير من طبيعة التعامل مع النصوص حسب طبقات المخاطبين، ويبرز الفعل الإعلاني في قوله: "طبقات الكلام ثمانية أقسام". هذا ليس إخبارًا عن حقيقة، بل هو إعلان يلزم الكُتّاب احترامه، والقوة الإنجازية هنا هي إعلان رتب المخاطبين، فالشيباني يغير حالة "الكلام" من كونه دفقًا لغويًا مرسلًا إلى كونه "مراتب محددة" (علوية ودون ذلك). هذا "الإعلان" يترتب عليه وجوب مطابقة القول للمقام.

أما مستويات الفعل الكلامي وفق منظور أوستن في النص السابق، فتتمثل فيما يأتي: الفعل القولي المنطوق الذي يقسم الكلام إلى ثماني طبقات، أربع علوية وأربع دونها، مع تحديد طبقة الخلافة كأعلى هذه المراتب، أما الفعل الإنجازي، فهو: فعل تقييد وتحديد، والقوة هنا تكمن في قول الشيباني: "لا يتسع للكاتب البليغ أن يقصر بأهلها عنها". فهذا الإعلان يحول "البلاغة" من مجرد تزيين لفظي إلى (التزام)؛ فالكاتب الذي يخرق هذه الطبقات بموجب إعلان الشيباني لا يُعد عاجزًا لغويًا فحسب، بل خارج عن قوانين الكتابة، والفعل التأثيري هنا هو ضبط مراتب المخاطبين حيث يزرع الشيباني في نفس الكاتب هيبة "التراتبية"، مما يدفعه إلى ممارسة أقصى درجات الحذر المعرفي لئلا يخلط بين مقامات الخطاب.

ويظهر الاستلزام في قوله: "ولا يقلب معناها إلى غيرها": يستلزم حواريًا أن الكاتب يختار "المعنى" حسب "رتبة المخاطب"، فلكل مخاطب خطاب لا يصلح لغيره، وأي تجاوز لرتب المخاطبين هو إفساد لجوهر الخطاب.

النتائج:

كشف التحليل التداولي لرسالة الشيباني عن بنية خطابية مركبة تتجاوز وظيفة "الإبلاغ" إلى وظيفة (بناء هوية الكاتب)، وذلك عبر تعاضد بين فئات أفعال الكلام الآتية:

1. (التقريريات والوعديات):

تقوم الرسالة على عقدٍ تداولي متين؛ حيث تعمل الأفعال التقريرية على إرساء "الحقائق المعيارية" (ماهية البلاغة، وفضيلة الخط، وبواعث الإبداع)، بوصفها أخبارًا صادقة يلتزم الشيباني بصحتها. وتأتي الوعديات في الخواتيم لتُبرم "ميثاقًا" مع الكاتب، يلتزم فيه الشيباني بتحقيق النفع الفني المشروط بامتثال تلك التقارير، مما يجعل الصدق في الخبر ضامنًا لتحقق الوعد بالارتقاء.

2. (الإعلانيات والتوجيهات):

تتجلى سلطة الشيباني المعرفية في الأفعال الإعلانية؛ حيث تُحدث أحكامه النقدية (كتقسيم طبقات الكلام أو وصم التكلف بالترقيع) تغييرًا فوريًا في "الواقع المهني" للكاتب بمجرد التلفظ بها. ويدعم ذلك حضور الأفعال التوجيهية التي لا تكتفي بالطلب، بل تضع "شروط الكفاءة" النفسية والفنية (مثل: (ارْتصِدْ، تَمَهَّرْ)، لتوجيه سلوك الكاتب نحو لحظات الإبداع الحقيقي بعيدًا عن الكد والتكلف.

3. البعد الوجداني (التعبيريات):

تتخلل الرسالة الأفعال التعبيرية التي تعكس الحالة النفسية للمرسل وتشارُكِه الوجداني مع المتلقي مثل عبارات (التحبب، والدعاء). وتؤدي هذه التعبيريات وظيفة "التجسير العاطفي"، حيث تمنح "التوجيهات" صبغة الأبوة العلمية، وتجعل المتلقي أكثر استجابةً للوعود والتقارير، مما يعزز من القوة التأثيرية للخطاب ككل.

إن تضافر هذه الأفعال يحول 'الرسالة العذراء' من سرد تعليمي إلى (فعل كلامي كلي)؛ فمن خلال 'التقرير' يبني الشيباني القاعدة، وبـ 'الإعلان' يسنُّ القانون، وبـ 'التوجيه' يرسم الطريق، وبـ 'التعبير' يضمن المودة، ليصل في النهاية إلى 'الوعد' بالثمرة. وبذلك يعيد النص صياغة هوية الكاتب المهنية، مستلزمًا حواريًا أن كمال الأديب لا يتحقق إلا بالخضوع لهذا النظام التداولي المتكامل.

وقد أسفر التحليل التداولي للخطاب في الرسالة العذراء عن جملة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يأتي:

1-أظهر البحث هيمنة الأفعال الكلامية التوجيهية في بنية الخطاب، ولا سيما صيغ الأمر والنهي والنصح، بما يعكس الطابع التعليمي للرسالة، ويؤكد توجّهها نحو تقويم سلوك المخاطَب اللغوي والأدبي.

2-تلت الأفعال التوجيهية الأفعال التقريرية أو الإخبارية، التي اضطلعت بوظيفة ترسيخ القواعد والمفاهيم المتعلقة بالكتابة والبلاغة، دون أن تشكّل غاية مستقلة، بل جاءت داعمة للوظيفة التوجيهية العامة للخطاب.

3- كشف التحليل التداولي أن **الأفعال الإعلانية** في الرسالة العذراء لم تكن مجرد توصيفات جمالية، بل مارست دور **السلطة التشريعية** التي أعادت صياغة واقع الصنعة، وذلك من خلال: سن قوانين الكتابة وتقعيد القواعد الفنية وتنظيم مراتب المخاطبين ومقاماتهم.

المراجع:

أوزو، و.؛ وسشايفر، م. ج. (2013). *القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان* (منذر عياشي؛ ط.3). المركز الثقافي العربي.

أوستين. (1991). *نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام* (عبد القادر قنيني، ترجمة). مطابع أفريقيا الشرق.

بوقرة، ن. (2009). *اللسانيات: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة* (ط. 1). عالم الكتب الحديث.

الجرجاني، ع. (د.ت). *الوساطة بين المتنبي وخصومه* (محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجادي، ترجمة). مطبعة عيسى الحلبي.

دايك، ف. (2001). *علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات* (محمد سعيد البحري، ترجمة؛ ط.1). دار القاهرة.

الرشيدي ع. س. م. ق. (2024). خطب التوابين: دراسة تداولية من خلال الأفعال الكلامية. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، 6*(2)، 281-305. https://doi.org/10.53286/arts.v6i2.1947

رمضان، ص. (2007). *الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم* (ط.2). دار الفارابي.

روبول، آ.؛ وموشلار، ج. (2003). *التداولية اليوم علم جديد في التواصل* (سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، ترجمة؛ ط.1). دار الطليعة.

أبو الريش، ح. (2018). التأصيل لأفعال الكلام في التراث العربي القديم، *المغرب الأندلسي*، (25)، ص 1-31.

الزهري، ن. (د.ت). *الأمر والنهي في اللغة العربية*. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

السامرائي، ي. (1990) أ. *شعراء عباسيون* (ط.2). عالم الكتب.

سيرل، ج. (2001). *العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي* (صلاح إسماعيل، ترجمة؛ ط.1). المركز القومي للترجمة.

الشمري ع. ب. ب. (2024). توظيف الأفعال الكلامية في ديوان الزمزمي المكي (ت: 976هـ): دراسة تداولية. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، 6*(4)، 9-38. https://doi.org/10.53286/arts.v6i4.2174

الشهري، ع. ب. ظ. (2015). *استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية* (ط.2). كنوز المعرفة.

الشيباني، إ. ب. م. (2003). الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة (يوسف محمد عبد الوهاب، تحقيق). *مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود*، (19)، 319-336.

الشيباني القيراوني، إ. (2009). *الرسالة العذراء* (محمد المختار العبيدي، تحقيق؛ ط.1). مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

شيتر، ر. (2009). *تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذج* [أطروحة دكتوراه غير منشورة]، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.

العزاوي، أ. (2009). *الحجاج في اللغة* (ط.1) مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع.

عزت، ع. (1996). *الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب* (ط.1). شركة أبو الهول للنشر.

كرازي، و. (2018). *أفعال الكلام في أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- دراسة تداولية في مؤطأ الإمام مالك* [أطروحة دكتوراه غير منشورة]. قسم اللغة والأدب العربي، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة الحاج لخصر، الجزائر.

محفوظ، م. (1982). *تراجم المؤلفين التونسيين* (ط.1). دار الغرب الإسلامي.

صحراوي، م. (2005). *التداولية عند العلماء العرب* (ط.1). دار الطليعة.

مزيد، ب. ا. م. (2010). *تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي* (ط.1). شمس للنشر والتوزيع.

السكاكي، ي. (1987). *مفتاح العلوم* (ط.2). دار الكتب العلمية.

نحلة، م. أ. (د.ت). *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*، دار المعرفة الجامعية.

موشلر، ج.؛ ريبول، آ. (2010). *القاموس الموسوعي للتداولية* (ط.2). دار سيناترا.

واصل، ع. (2020). الأفعال الكلامية في ديوان "أبجدية الروح"، *مجلة طلائع اللغة وبدائع الأدب، 1*(1)، 74-98.

References

Ouzou, W., & Schaeffer, M. J. (2013). *The new encyclopedic dictionary of linguistics* [Al-qāmūs al-mawsūʿī al-jadīd li-ʿulūm al-lisān] (M. Ayyashi, Trans.; 3rd ed.). Arab Cultural Center.

Austin, J. L. (1991). *How to do things with words: A general theory of speech acts* [Naẓariyyat afʿāl al-kalām al-ʿāmmah: Kayfa nunjizu al-ashyāʾ bi-al-kalām] (A. Qnini, Trans.). Afrique Orient Press.

Bouqra, N. (2009). *Linguistics: Trends and contemporary issues* [Al-lisāniyyāt: Ittijāhātuhā wa-qaḍāyāhā al-rāhinah] (1st ed.). Modern Books World.

Al-Jurjani, A. (n.d.). *Al-Wasāṭah between Al-Mutanabbi and his critics* [Al-wasāṭah bayna al-Mutanabbī wa-khuṣūmih] (M. A. Ibrahim & A. M. Al-Bajadi, Eds.). Isa Al-Halabi Press.

van Dijk, T. A. (2001). *Text science: An interdisciplinary introduction* [ʿIlm al-naṣṣ: Madkhal mutadākhil al-ikhtiṣāṣāt] (M. S. Al-Bahri, Trans.; 1st ed.). Dar Al-Qahira.

Al-Rashidi, A. S. M. Q. (2024). Repentant Speeches: A Pragmatic Study through Speech Acts. *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *6*(2), 281-305. https://doi.org/10.53286/arts.v6i2.1947

Ramadan, S. (2007). *Literary epistles and their role in the development of classical Arabic prose* (2nd ed.). Dar Al-Farabi.

Reboul, A., & Moeschler, J. (2003). *Pragmatics today: A new science of communication* (S. Daghfous & M. Al-Shaibani, Trans.; 1st ed.). Dar Al-Taliʿa.

Abu Al-Reesh, H. (2018). The foundations of speech acts in classical Arabic heritage. *Al-Maghrib Al-Andalusi Journal*, (25), 1–31.

Al-Zuhri, N. (n.d.). *Command and prohibition in the Arabic language*. Faculty of Arts and Humanities Publications.

Al-Samarrai, Y. (1990a). *Abbasid poets* (2nd ed.). Alam Al-Kutub.

Searle, J. R. (2001). *Mind, language, and society: Philosophy in the real world* (S. Ismail, Trans.; 1st ed.). National Center for Translation.

Al-Shammari, A. B. B. (2024). The Utilization of Speech Acts in the Poetry Collection of Al-Zamzami Al-Makki (d. 976 AH): A Pragmatic Study. *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *6*(4), 9-38. https://doi.org/10.53286/arts.v6i4.2174

Al-Shahri, A. B. Z. (2015). *Discourse strategies: A pragmatic linguistic approach* (2nd ed.). Kunuz Al-Maʿrifah.

Al-Shaibani, I. B. M. (2003). *Al-Risalah al-ʿAdhraʾ in rhetorical standards and writing tools* (Y. M. Abdelwahab, Ed.). *Journal of the Faculty of Arabic Language in Itay El-Baroud*, (19), 319–336.

Al-Shaibani Al-Qayrawani, I. (2009). *Al-Risalah al-ʿAdhraʾ* (M. Al-Mukhtar Al-Obaidi, Ed.; 1st ed.). Juma Al-Majid Center for Culture and Heritage.

Shiter, R. (2009). *Pragmatics of poetic text: The anthology of Arab poetry as a model* [Unpublished doctoral dissertation]. Faculty of Arts and Humanities, University of El Hadj Lakhdar, Algeria.

Al-Azzawi, A. (2009). *Argumentation in language* (1st ed.). Al-Rihab Modern Foundation for Printing, Publishing and Distribution.

Ezzat, A. (1996). *Modern trends in stylistics and discourse analysis* (1st ed.). Abu Al-Hol Publishing.

Karazi, W. (2018). *Speech acts in the sayings of the Prophet (peace be upon him): A pragmatic study in the Muwatta of Imam Malik* [Unpublished doctoral dissertation]. Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arabic Language, Literature and Arts, University of El Hadj Lakhdar, Algeria.

Mahfouz, M. (1982). *Biographies of Tunisian authors* (1st ed.). Dar Al-Gharb Al-Islami.

Sahraoui, M. (2005). *Pragmatics among Arab scholars* (1st ed.). Dar Al-Taliʿa.

Mazid, B. A. M. (2010). *Simplifying pragmatics: From speech acts to the rhetoric of political discourse* (1st ed.). Shams Publishing and Distribution.

Al-Sakkaki, Y. (1987). *Miftah al-ʿUlum* [The key to the sciences] (2nd ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Nahla, M. A. (n.d.). *New horizons in contemporary linguistic research*. Dar Al-Maʿrifah Al-Jamiʿiyyah.

Moeschler, J., & Reboul, A. (2010). *Encyclopedic dictionary of pragmatics* (2nd ed.). Dar Sinatra.

Wasil, A. (2020). Speech Acts in the collection poems: Abgadeyat Al-Rroh "Alphabet of the Spirit". *Pioneers of Language and Literary Creativity Journal*, 1(1), 74–98.